IAS.AR.239 (iii)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

فتبارك الخلاق ذو الآلاء رب البرية موهب النعماء
قد خص صلونا بعلم والتقي واختصه بإمارة الكبراء
آتاه تاجا في حكومة إنجليز رغما لمبغضه من الأعداء
أعطاه ما أعطاه من ملك ومن خلق الرضى وسعادة السعداء
وإغاثة الملهوف ثم تواضع ومحبة الأدباء والعلماء
يا حبذا عاداته وطباعه حلما وصمتا زينة الأمراء
حقا يغيث الناس في أثقالهم سيان دان عنده والناء
ولقد أعان على بناء الهيكل عونا على عون بغير جفاء
منه طلبنا كل عون في البنا فأعاننا عجلا بغير نساء
ولقد ألحنا كل إلحاح له فحبى ولم يسأم لدى الإعطاء
كم من يلحّ في الطلاب مجربا ليرى حقيقة سيد معطاء
كم من يجادل في فضائل جحجح فأريته فضلا بغير خفاء
ولذاك أرسل ثم أرسل ثنيا ليرى العدو كرامة الفضلاء
ومتى طلبنا مأربا من عنده تقضي سريعا دون ما استشفاء
فدعاؤنا نيل الولادة بسرعة ودوام سلطنة وطول بقاء
آمين فآمين لا نفتّر عن[1] الدعاء نرجو القبول بجاه ذي الإسراء
أما الخسار فإنهم همج كذا يتقولون قبائح الفحشاء
قسما لقد أسدي إلينا خيره متكررا تتري بغير فناء
تبا على أعدائه سحقا لهم آمين لأنهم من البغضاء
هذا الأمير كنوزنا وحديقة فيها قنى[2] يجني مع الحلواء
الله درك من أمير فاضل تسخو على الآباء والأبناء
والله إني لم أزل لك شاكرا فإليك مدح دائما وثناء
ولقد سمعنا ما يسر قلوبنا فرحا على فرح معا وهناء
لما خرجت لينده في أعوانك تنوي زيارة برة حواء
أم الرجال فخالد مع خاضر وحسنينا من أنجب النجباء
هذي المسير عجيبة في أفقنا قد شاع ما فيها من الأنباء
والناس يحكون ما رأوا في سفرك يتكررون كلامهم بوفاء
يتعجبون بما رأوا من قوة وفطانة وسكينة وبهاء
وأحاطه شرط كثير كلهم يتعممون بعمامة حمراء
كلا يخاف الناس من أصواتهم كمخافة الرعد بحق سماء

[1] جاء في الأصل في وبدّلناها بما يناسب
[2] وردت فنى في الأصل و بدّلناه بقنى وهو أنسب

تا الله قد رأوا العجائب جهرة لا سامع يدري كمثل الراء
شرط كجن حوله وبأعين زرقي كحمرة حبة الجوزاء
كم قرية قد مر لم يعبأ بهم لم يلتفت لمعاشر الغوغاء
والناس يجتمعون في طرقاتهم ليروا مهابته وحسن رواء
وهجومه في شوق قوم هدّة كالأوس يهجم ثلة في شاء
وانفضّ أهل السوق وانتشروا معا شرقا وغربا يمنة ووراء
ولكم أتي الجم الغفير فدلّهوا من هيبة فتراهم كظباء
لا يقدرون تكلّما في وجهه بل يسكتون كصخرة صماء
حتى إذا ما جاء يده معظّما فرأوه يوما في سنا وسناء
ثم احتفوا يتعجبون بأمره قالوا للي قلنا للي وللاء
شرفا لبرة حين جاء وليدها شرفا لها ولسائر الآباء
شرفا لإخوان وجيران كذا ولكل من يدلي له بولاء
فأمير بنده يقول هذا ضيفنا ضيف كريم أكرم الغرباء
أهلا وسهلا بل ورحبا واسعا وتبسما وكرامة الكرماء
فرح الملوك وسوقة بقدومه فرح الرجال كذاك جمع نساء
فرح المساكين وقالوا إنّ ذا ضيف عظيم مطعم الضعفاء
والله قد قسم الثياب هنالك مرقومة قد تشتري بغلاء
قمصا وسروالا كذا مع جبة وقلا نس حمراء والخضراء
وبرانس وعمائم مرقوشة وملابس العلماء والعظماء
وكسي العراة رجالهم ونساءهم لا تلق عريانا سوى برداء
وإذا رأيت رأيت ثم طنابرا يهدي بلا قيد فكالحصباء
يعطى ذوي جاه غيروهم معا يهدي الغني وسائر الفقراء
سبحان من قد ردّه لمحلّه بعزازة سلما بغير عناء
وسلامة في صحة وبشارة في دعة ومسّرة وزكاء
هذا الكتاب نظمته فرحا لما أعطاك ربك من علا وغناء
كم حاجتي رفعت إليك جعلتها في أيد مرسلي بغير بطاء
من غير ما سأم غير تعبّس يجزيك ربك بالمنى ورفاء
وذهابه وإيابه في هيبة ومحبة وشرافة الشرفاء
خذ تحفة مني إليك كعادتي منذ القديم وعادة البلغاء
ولفظته شكرا نشاطا نزهة لا رغبة في شيء من أشياء
والحمد لله المفضل عبده ثم الصلاة لخاتم النبآء